العامة ـ وأقول العامة ـ شيئاً جديداً، موقفاً جمالياً ودلالياً جديداً.

إن «باختين» يلغي هـذا الموقف، أو هـو في أحسن الأحْوال يعتـبره موقفـاً محايـداً، أي لا موقف له. يتجـلّى ذلك في قـوله بـالحياد المـطلق للكاتب الـروائي، وخاصة في نمط الكتابة الروائية التي سنها الكاتب الروسي «دوستويفسكي». إذ يرى «باختين» أنه ليس بـاستطاعـة الكاتب الذي من هذا النوع إلا أن يقـابل بـين الشخصيات وحقـل الرؤيـة عند كـلٍ منها، وإديولوجياتها. ومعنى هـذا أن البطل الـروائي نفسه لا يمثـل بالضرورة آراء الكـاتب، ولكنه على الأصح يمثل نفسه، بل إن «باختين» يذهب بعيداً في هذا المجال عندمـا يعتبر الشخصيـة الروائية في أعمال «دوستويفسكي» تظل على الدوام غير تامة أو محـددة بشكل نهائي، إنها هي نفسها تظل تتساءل عن هويتهـا الحقيقية فبـالأحرى مـوقف الكاتب منهـا، إنه يتعـامل معهـا بحياد تام كـما يتعامـل مع بـاقي الشخصيات في الـرواية، لـذلك يتـوجه اهتـمام الكاتب إلى المقابلة بين الشخصيات بدل أن يوجه اهتمامنا إلى تبني أفكار شخصية بعينها. يقول «باختين» بهذا الصدد:

«إن وعي الذات عند البطل، وهو يَلُفُّ مجموع عالم الأشياء لا يمكن أن يوضـع إلا بجوار وعي آخر، كما أن حَقْلَ رؤيته لا يمكن أنِ يُرَتَّبَ إلا بجوار حقل آخر للرؤيـة، وإديولـوجيَّتُهُ لا تَصَنَّفُ إلا بجوار إديولوجية أخرى. وهكذا فلا يمكن للكاتب أن يفعل شيئاً آخر بالنسبـة لوعي البطل الذي يجعل جميع الأشياء موضوعاً لتأمله سوى أن يعارضه بعالم موضوعي، وهو عالم أنماط الوعي الأخرى ذات القيمة المساوية[82].

إن القول بالحياد التام للكاتب يلغي أشياء كثيرة أساسية أهمها: التساؤل عن نوايا المبدع، وعن وظيفة الكتابـة الروائيـة في الواقـع الثقافي والاجتـماعي والإديولـوجي. ونرى أن الفكـر الباختيني يؤدي ضمنياً إلى القول بأن الـرواية لا تفعل شيئـاً سوى أن تعيـد إنتاج العـلاقات الاجتماعية والصراع الإديولوجي والثقافي على المستوى الفني.

إن إقـامة الإديـولوجي في القـول اللغوي عنـد «باختـين»، لا يعني شيئاً آخـر غير جعـل الرواية بمثابة «شاشة حيَّة» لتجسيد الصراع الاجتماعي والثقافي والإديـولوجي، وهـذا الأمر ـ على رغم الاحتياطات التي أقامها «باختين» ـ لا يعفيه من فكرة الإنعكاس التي انتقدها بشدة في مدخل كتابه «الماركسية وفلسفة اللغة»[83].

إن الرواية ليست تجسيداً للواقع فحسب، ولكنهـا فوق ذلـك موقف من هـذا الواقـع. وهذا الموقف لا يمكن أن يُتَّخَذَ إلا بإعادة إنتاج هذا الصراع الواقعي والإديولـوجي في النص. غير

---

(82) Ibid., P. 85 - 86.

(83) **Marxisme et philosophie du langage**, P. 35 - 36.